• كيف طبّق الشيوعيون البلغار قواعد اللينينية على واقعهم ؟

الذكرى الـ ٢٧ لانتصار الجماهير البلغارية بقيادة حزبها

ايلول ـ سبتمبر عام ١٩٢٣ ، احدى اهم مراحل كفاح الشيوعيين البلغار من اجل توحيد اكثر فئات الشعب تعرضا للاستغلال ـ العمال والفلاحون ، في النضال ضد الرجعية والفاشية. لقد كان ذلك نقطة انطلاق وضعت اساسا لضرورة العمل الموحد الواعي ضد العدو الطبقي المشترك .

وفي لهيب الانتفاضة ارست اسس الاتحاد بين الشيوعيين والفلاحين الاتحاديين وتثبتت وتصلبت . وتشكلت جبهة موحدة بينهم .

لقد اعلن المؤتمر السابع للاممية الشيوعية المنعقد خلال عام ١٩٣٥ في موسكو الحزب الشيوعي البلغاري بشكل حاسم على انتهاج سياسة تعمل على بناء جبهة شعبية واسعة مناهضة للفاشية تلتف حولها جميع القوى الديمقراطية والمعادية للفاشية في البلاد من اجل النضال ضد الدكتاتورية الفاشية ، واعادة حقوق وحريات الشعب الاساسية . ان الجبهة الشعبية التي شكلت عام ١٩٣٦ جاءت استجابة لضرورة موضوعية طرحت نفسها آنذاك .

وخلال الحرب العالمية الثانية عندما كانت بلغاريا ترزح تحت الاحتلال الفعلي للفاشست الالمان وكانت البرجوازية البلغارية تساوم المانيا الهتلرية على مصالح البلاد القومية ، اصبح من الامور الضرورية الملحة آنذاك البحث عن انسب الاشكال لتلاحم الجماهير الشعبية الواسعة باسم برنامج ديمقراطي من اجل ازاحة الدكتاتورية الملكية الفاشية وضد المحتلين الالمان من البلاد ومن اجل انقاذ بلغاريا من كارثة وطنية ثالثة وتوجيه تطورها على طريق الديمقراطية . والتقدم الاجتماعي لقد كان تشكيل الجبهة الوطنية في ١٧ تموز ـ يوليو ـ عام ١٩٤٢ ردا صائبا جدا على هذه الدعوة الوطنية . اذ تبين انها انسب شكل لتنظيم قوى الجماهير الواسعة . وخلال فترة وجيزة زخرت البلاد بلجان الجبهة الوطنية الكثيرة . فقد انضمت اليها قوى الحزب الشيوعي البلغاري والاتحاد الشعبي للمزارعين البلغار ، و « زفينو » (حركة برجوازية ديمقراطية يساهم فيها ضباط ذوو اتجاهات وطنية ومعادية للملكية) ، والاحزاب الاشتراكية الديمقراطية والراديكالية والمثقفين الشعبيين والعسكريين الوطنيين وصغار الحرفيين في المدن والتجار وقسم من البرجوازية الصغيرة في المدن . وتحولت الجبهة الوطنية الى حركة شعبية جبارة غدت حقا جبهة وطنية لسائر الشعب البلغاري .

وعقب انتصار الثورة الاشتراكية في بلغاريا في التاسع من ايلول ـ سبتمبر ـ عام ١٩٤٤ ، ضمت الجبهة الوطنية في صفوفها اكثرية الشعب الساحقة واسهمت الى حد كبير في بناء الاشتراكية في بلغاريا .

وكانت نظرية ونشاط الحركة الثورية العالمية بشان الكفاح ضد الامبريالية والراسمالية والفاشية من اجل الديمقراطية والاشتراكية كانا ثمرة الجهود المشتركة للاحزاب الشيوعية والعمالية من جميع انحاء العالم . وللحزب الشيوعي البلغاري حصته في هذه الجهود في الماضي وفي الحاضر . وليس لتجربته في بناء الجبهة الموحدة والجبهة الشعبية والجبهة الوطنية اهمية وطنية وحسب ، بل واهمية عالمية ايضا . وتعتبر هذه التجربة اسهاما في نظرية وتطبيق الثورة البروليتارية ومن الطبيعي جدا اعارة الاهتمام اليها .

● سابعا ـ استلم الشغيلة في بلغاريا زمام السلطة بقيادة الحزب الشيوعي وساروا على الطريق الذي رسمه لهم قائد الشعب البلغاري جورجي ديمتروف ـ طريق الاشتراكية . وتحولت بلغاريا بالاعتماد على المساعدة الاخوية للاتحاد السوفياتي والتعاون مع البلدان الاشتراكية الاخرى من بلد زراعي ـ صناعي متخلف الى دولة صناعية متطورة . وتنامى الدخل الوطني البلغاري من عام ١٩٤٩ الى عام ١٩٧٠ بمعدل ٨٠٤ بالمائة سنويا . وبلغاريا الاشتراكية اغنى الان بخمس مرات من بلغاريا الراسمالية . وتعود هذه الثروة للشعب . وقضى فيها نهائيا على التبعية للامبريالية وعلى استغلال الانسان للانسان . كما قضي على البطالة والامية والفاقة وثمة في بلغاريا صناعة تعدينية سوداء وملونة، وصناعة كيماوية ثقيلة ، وصناعة لبناء السفن ، وصناعة الكترونية وتصادف المكائن البلغارية في جهات العالم الاربع .

واظهر الحزب الشيوعي البلغاري بسطوع ، سواء في سني النضال ضد الفاشية ام في اعوام البناء الاشتراكي ، قدرته على تطبيق الماركسية ـ اللينينية وتجربة الحزب الشيوعي السوفياتي والاحزاب الاشتراكية الاخرى بشكل خلاق ومع اخذ الظروف الخاصة في بلغاريا بعين الاعتبار . وكمثال على ذلك هذا التمعق العملي والجراة الخلاقة اللتين عكف بهما الحزب على حل القضايا المتشابكة المرتبطة بدخول بلغاريا في مرحلة بناء المجتمع الاشتراكي الناضج .

وتكللت خدمة الحزب الشيوعي البلغاري التفانية لصالح الشغيلة البلغار ـ والبروليتاريا العالمية ، والحرية والسلم والتقدم في العالم طوال ثمانين عاما ، تكللت بقرارات مؤتمره العاشر الذي عقد في نيسان ـ ابريل ـ هذا العام . وسيكون تنفيذ برنامج الحزب الذي اقره المؤتمر اثمن اسهام له من اجل انتصار قوى التقدم على قوى الرجعية في العالم . يقول البلغاريون عن حزبهم بانه ولد في ذروة قمة جبل ومن تلك القمة شق طريقه نحو المستقبل الى الشيوعية !!

● ثامنا ـ وعلى راس كل هذه الخدمات التي قدمتها الطبقة العاملة البلغارية والمآثر التي سجلتها ، فانها تميزت بشيء هام انفردت به دون سواها . ذلك انها استطاعت وفي وقت مبكر جدا ان تكتسب الوعي الاشتراكي وان توفر عددا من ابنائها لتعليم الجماهير الكادحة وتوعيتها وتنظيم نضالها الثوري .

يقول لينين : ان « العمال لم يعوا ولم يكن من الممكن ان يعوا التضاد المستحكم بين مصالحهم وبين كل النظام السياسي والاجتماعي القائم ، اي انهم لم يحصلوا على الوعي الاشتراكي الديمقراطي(٢٠) الا من خارجهم » (٢١) ذلك « ان الطبقة العاملة لا تستطيع ان تكتسب بقواها الخاصة غير الوعي التريدونيوني ، اي الاقتناع بضرورة الانتظام في نقابات والنضال ضد اصحاب الاعمال ومطالبة الحكومة باصدار هذا او ذاك من القوانين الضرورية للعمال ... الخ » (٢٢)

هذه الحقيقة التي يقررها لينين ، ما تزال تعكس نفسها على الاكثرية الساحقة من الاحزاب الشيوعية في ايامنا هذه اما الطبقة العاملة البلغارية ، فقد استطاعت ان تسجل بادرة تميزت بها عن غيرها بشكل واضح ، اذ قدمت جورجي ديمتروف ، وهو ابرز ابنائها ليلعب دورا طليعيا معتمدا على التربية والتعليم اللذين تلقاهما من الطبقة العاملة البلغارية عامة وعمال الطباعة خاصة واصبح كما هو معروف ابرز قائد في الحركة الشيوعية البلغارية والبلقانية والعالمية، كما قدمت تيودور جيفكوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ، رفيق ديمتروف وشريكه في المهنة والنضال ، فهو الاخر ايضا من عمال الطباعة وله تاريخ نضالي حافل منذ طفولته ، حيث اصبح منذ عام ١٩٢٨ عضوا في الشبيبة الشيوعية البلغارية وانخرط في صفوف الحزب الشيوعي في ١٩٣٢ ، وشغل في الفترة بين ١٩٣٤ ـ ١٩٤١ عدة مراكز قيادية اهلته لاكتساب عضوية لجنة منطقة صوفيا الحزبية . وفي فترة ١٩٤١ ـ ١٩٤٤ ، برز باعتباره انشط قادة المنظمة الحزبية في صوفيا ، اولئك الذين نظموا وقادوا النضال الثوري المسلح ضد المحتلين الهتلريين وعملائهم في بلغاريا ، وبلغ نشاطه الثوري درجة جعلته يصبح في عام ١٩٤٢ مسؤولا عن تنظيم وقيادة حركة الانصار في منطقة بوتيف غراد ، الواقعة شمال صوفيا . ومنذ تموز عام ١٩٤٤ ، اصبح مساعد قائد المنطقة الاولى للعمليات الحربية للانتفاضة المسلحة في صوفيا ، وخلال عامي ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ، اصبح السكرتير الاول للجنة مدينة صوفيا الحزبية ورئيس لجنة المدينة (صوفيا) للجبهة الوطنية ورئيس المجلس الشعبي في العاصمة . وكان حينذاك عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ، اذ انه انتخب في الاجتماع الموسع للجنة (١٩٤٥) عضوا مرشحا

وفي المؤتمر الخامس للحزب (١٩٤٨) نال عضويتها ، وفي عام ١٩٥٠ ، انتخب سكرتيرا للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ، وفي الوقت نفسه كان سكرتيرا للجنة المدينة واللجنة المنطقية الحزبية في صوفيا ، ومنذ عام ١٩٥١ ، اصبح عضوا في المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب وفي المؤتمر السادس للحزب (١٩٥٤) اصبح جيفكوف السكرتير الاول للجنة المركزية ، وفي عام ١٩٦٢ انتخب رئيسا للوزراء من قبل الجمعية الشعبية وفي العاشر من تموز الماضي انتخب رئيسا لمجلس الدولة . وفي السابع من ايلول الحالي كان ابناء الشعب البلغاري وخاصة الشيوعيين يقدمون التهاني لعامل الطباعة وصاحب لقب بطل العمل الاشتراكي ، وحامل مدالية جورجي ديمتروف والنجمة الذهبية ، والسكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري .. كان ابناء الشعب يقدمون لتيودور جيفكوف التهاني بمناسبة بلوغه عامه الستين .

ان قدرة الطبقة العاملة البلغارية على العطاء كبيرة جدا . والدليل عليها ان العديد من الشخصيات البارزة والقادة اللامعين خرجوا من هذه الطبقة ، التي ادت مهماتها ودورها على الوجه الاكمل وميزت نفسها باعتمادها على قواها الخاصة في ادائها لمهماتها .

ان بلغاريا اليوم تختلف كلية عن بلغاريا الامس ويكفي ان نشير الى سلم ارتفاع الاجور لنتاكد من هذه الحقيقة :

في عام ١٩٦٠ كان متوسط الاجور السنوية للفرد الواحد ٩٥٣ ليفا وارتفع عام ١٩٦٦ الى ١١٥٣ ليفا وفي عام١٩٦٢ ارتفع الدخل الحقيقي ثلاثة اضعاف . هذه الارقام البسيطة تشير الى مستوى الحياة الذي يعيشه اليوم ابناء البلد الذي كانت حكومته عام ١٩٤٤ لا تملك فلسا واحدا .

تحية رفاقية حارة للشعب البلغاري الصديق ولحزبه الشيوعي الشقيق ولقائده جيفكوف رفيق ديمتروف ووريث تراثه النضالي الشامخ، بمناسبة ذكرى الثورة البلغارية المجيدة .

هاشم علي محسن

١ ـ اسس اللينينية ـ ستالين
٢ ـ لينين ـ ما العمل ؟ (ص١٨٣ ١٢ و ١)
٣ ـ اسس اللينينية حول مسائل اللينينية ـ ستالين .
٤ ـ المصدر السابق ذاته
٥ ـ ما العمل ؟ ـ لينين
٦ ـ المصدر السابق ذاته
٧ ـ الامبريالية اعلى مراحل الراسمالية
٨ ـ اسس اللينينية ـ ستالين .
٩ ـ المصدر السابق ذاته
١٠ ـ المصدر السابق ذاته
١١ ـ البيان الشيوعي ـ ماركس انجلس
١٢ ـ المصدر السابق ذاته
١٣ ـ المصدر السابق ذاته
١٤ ـ المصدر السابق نفسه
١٥ ـ المصدر السابق نفسه
١٦ ـ الثورة والموقف ـ كاوتسكي ـ لينين
١٧ ـ المصدر السابق ذاته
١٨ ـ اسس اللينينية ـ ستالين
١٩ ـ المصدر السابق ذاته
٢٠ ـ ما العمل ؟ ـ لينين ـ ص١٨٥ ف ١ ج ١
٢١ ـ المصدر السابق نفسه ـ ص١٨ ف ١ ج ١
٢٢ ـ المصدر السابق نفسه ـ ص١٨٦